

الحروب الاهلية اللبنانية (١٨٤١-١٨٦٠) دراسة تحليلية في اصولها السياسية والاجتماعية

الاستاذ المساعد الدكتور

عبد الامير محسن جبار (*)

هذه الدراسة تهدف لبيان طبيعة السياسة الفرنسية الطائفية في لبنان، إذ إنها سعت من خلالها لفرض سيطرتها على المشرق العربي للاستفادة من خيراتهم ومن موقعه الإستراتيجي المهم بالنسبة لمصالحها في البحر المتوسط عن طريق تذرئهم ستر الدين، بحجة الدفاع عن مصالح وحماية الأقليات المسيحية في لبنان، وكانت تهدف من وراء ذلك التغلغل في لبنان وتحطيم الوحدة الوطنية بين أبناءه، وقد استغلت فرنسا مكونات الشعب اللبناني المختلفة وتدخلت في تشجيع فئة على حساب أخرى من أجل خلق التجزئة السياسية وترسيخ الطائفية في البلاد وقد جاءت الدراسة على الباحث التالية:

أولاً: بداية الأطماع الفرنسية في جبل لبنان:

تعود بداية الأطماع الفرنسية الى الوطن العربي بصورة عامة وبلاد الشام بصورة خاصة مع بداية الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي، إذا أوجنت هذه الحروب علاقة مميزة بين فرنسا والموارنة^١، إذ قدم الموارنة للحملة الصليبية الأولى إدلاء يرشدونهم الى الطرق والمعابر، وإرسال فرقة من النشابة^٢ المتطوعين، وكان الملك لويس التاسع^٣، أول صديق فرنسي لهم، وبعد نزوله في مدينة عكا جاء وفد من الموارنة محملين بالهدايا والمؤمن، وسلمهم لويس التاسع رسالة في ٢١/ أيار/ ١٢٥٠م بموجبها تتعهد فرنسا بحمايتهم إذ جاء فيها: "نحن مقتنعين بأن هذه الأمة التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية"^٤.

اخفت فرنسا إطماعها وراء ستار الدين، وكانت فرنسا تسعى لفرض سيطرتها على المشرق العربي للاستفادة من خيراته ومن ثم الاستفادة من موقعه الإستراتيجي المهم^٥ بالنسبة لمستقبل المصالح الفرنسية في البحر المتوسط وقد صرح جورج لي وزير سابق للبحرية الفرنسية، بأن: "محور السياسة الفرنسية قائم في البحر المتوسط... وان احد قطبي هذا المحور قائم في الغرب أي في تونس ومراكش".

١ الموارنة: طائفة مسيحية شرقية تابعة لكنيسة روما الكاثوليكية أسسها راهب سوري يدعى مارمارون ومنه اخذوا اسمهم، عاش هذا الراهب في أواخر القرن الرابع الميلادي في منطقة في انطاكيا، وكان عضواً في الكنيسة السورية وقع خلاف عقائدي اضطره الى النزوح الى منطقة اقاميا واسمها اليوم قلعة المضيف وتقع بجوار نهر العاصي مات القديس مارون في عام ١٠٠٠م وشيد تلاميذه في هذه المنطقة ديراً أسموه باسم القديس مارون، ويعد هو أبو الطائفة المارونية للمزيد من التفاصيل ينظر: الأب بطرس ضو تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري من مارمارون الى ماريوحنا مارون (٣٢٥-٧٠٠م)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢١٣ وما بعدها.

٢ النشابة: وهم مجموعة من الرماة بالنشابة أي السهم، ينظر: لويس معلوف، المنجد في اللغة المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ١٧، د.ت، ص ٨٠٨.

٣ لويس التاسع: (١٢١٤-١٢٧٠) ملك فرنسا قاد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة عشر بفضائله وقداسته وتوفي في تونس، ينظر:

The Mc Crow, Hill Encyclopedia of world Biography, vol, 6, 1973, pp.578-579.

٤ فيليب حتي، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر، ترجمة: نيس فريحة، مراجعة: نقولا زيادة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٩، ص ٣٩٢.

٥ احمد كلشر، فرنسا والشرق العربي أحلام صليبية، مجلة الوحدة، العدد ٣٢٥، أبو ظبي، ١٩٨١ ص ١.

والآخر في المشرق عبر سوريا ولبنان، اللذين يشكلان احد الميادين المفضلة لنشاط القرصي.

بعد انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق ١٥١٦م أصبحت الشام جزء من الدولة العثمانية، وقسم العثمانيون الشام الى ولايات ثلاث وهي ولاية دمشق وولاية حلب وولاية طرابلس، وكان من أساليب العثمانيين في إدارة البلاد التي تظنها عصبية أو أسرات حاكمة ان تترك الأمور الداخلية في يد هذه العصبية التي اختر من التبعية للسلطان العثماني، ولهذا تركت السلطات العثمانية الحكم في جبل لبنان لأمرأ بني معن ثم لأمرأ آل شهاب.^٧

استفادة الأمانة المعنية^٨، من سطحية الحكم العثماني، فبدأت في توطيد نفوذها بسطرتها، ومما لاشك فيه ان الأمانة المعنية كانت قد ركزت نشاطها في منطقة الشوف وأخذت مكانة الأمانة تطفو على سطح السياسة في المنطقة ابتداء من عهد الأمير، الذي يمكن ان نعده بداية تفوق الأمانة المعنية في الجبل، وبلغت الأمانة ذروة نفوذها في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني^٩، إذ بلغت مساحتها من نهر الوادي في الشمال حتى منطقة العريش في مصر، وأصبح يطلق على فخر الدين الثاني لقب سلطان البر.^{١٠}

سعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي (١٩١٤-١٩٢٦)، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ص ٢٠.

٧ فيليب حتي، المصدر السابق، ص ٤٤٠-٤٤١.
٨ الأمانة المعنية: حكم المعنويون جزءاً كبيراً من لبنان مدة ١٨١ سنة، ولا يعرف الكثير عن اصل هذه العائلة التي دخلت لبنان عند مطلع القرن الثاني عشر واستوطنت منطقة الشوف وجعلوا من بلدة عين عاصمة لهم، بلغت قوة المعنويين السياسية التي كان قد أسسها فخر الدين الأول ذروتها في عهد حفيده فخر الدين المعني الثاني، ومن ثم أخذت تضعف رويداً رويداً الى ان زالت أخيراً بموت الأمير احمد عام ١٦٩٧ سبط فخر الدين الثاني ينظر: فيليب حتي خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة للنشر، بيروت، مج ٢، ط١، ١٩٧٥، ص ١٤٩.

٩ فخر الدين المعني الثاني (١٥٧٢-١٦٣٥) أمير لبناني ولد في بعقلين، وتسلم إمارة فيها، وإنشاء جيشاً وتعاهد مع أمرأ توسكانيا ليقدموا له الخبراء في صب المدافع، ثم قصد إيطاليا بعد اضطرابه الى مغادرة لبنان، وعقد مع بعض أمرأها معاهدة لتقديم العون لكنهم خذلوه فعاد سراً الى لبنان وأصبح بأعوانه ثم عفا عنه السلطان العثماني وجعله والياً على صيدا ثم منحه نابلس وعجلون واستقدم مزارعين من إيطاليا لتعليم اللبنانيين طرقهم في الزراعة، انتفض على الحكم العثماني لكنه قتل ونفي الى استانبول حيث قتل فيها. ينظر: عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٤٤ وما بعدها؛ محمد شفيق غزيل، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٢٧٧.

١٠ جمال زكريا وآخرون، الازمة اللبنانية: أصولها، تطورها، إبعادها المختلفة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣١.

الشام
جنت
سليبة
عين
١ جاء
لبنان
ة هي
طرتها
اتيني
ج ليخ
البحر
اكثر
يدعي
البرية
منطقة
١٠
لرونية
ي من
وما
اللغة
اشتهر
The
pp.٤
أنيس
١٩١

أدى هذا التفوق المادي والسياسي والعسكري الى تصاعد مخاوف السلطة العثمانية، التي بدأت تخطط لتوجيه ضربة حاسمة للامير فخر الدين الثاني، وبالفعل شنت الدولة العثمانية هجوماً ضخماً على الإمارة المعنية وطاردت الأمير، حتى قضت عليه^{١١}، ونظراً لان العثمانيين كانوا يتبعون الأسلوب السطحي نفسه في الحكم اكدت بإعلان آل المعن الخضوع للسلطان العثماني وظل الحكم في البيت المعني^{١٢}.

انشأ العثمانيون ولاية صيدا عام ١٦٦٠ لتراقب الإمارة المعنية ولقطع الطرق على اللبنانيين وإخماد الروح الاستقلالية فيهم، وبسبب تعدد الولايات العثمانية المحيطة بالإمارة المعنية توزعت أجزاء هذه الإمارة بين ولاية دمشق وطرابلس وصيدا، وكان هذا الوضع سبباً في تنافس الولاة العثمانيين على تبعية الإمارة لأي منهم إذ كان احمد باشا والي دمشق ينافسه والي صيدا الذي كانت دائرته تمتد الى النصف الشمالي من جبل لبنان والي بيروت أحيانا ولكن كان والي دمشق يمد سيطرته حتى بيروت، وقد أدى هذا الوضع الى ان يسعى الأمير اللبناني الحاكم الى ان يستغل في المنافسات في الحفاظ على منصبه وعلى أمارته^{١٣}.

عادت فرنسا علاقتها بالمشرق إذ كانت من أوائل الدول الأوروبية التي أبرمت اتفاقيات مع الدولة العثمانية، وكان أولها معاهدة الصداقة بين الملك فرانسوا الأول والسلطان العثماني سليمان القانوني في شباط ١٥٣٥^{١٤}، وقد احتوت هذه المعاهدة على عدة بنود منها منح الرعايا الفرنسيين حرية الملاحة في المياه الإقليمية للإمبراطورية العثمانية، وحرية التجارة وتخفيض نسبة الكمارك والمحافظة على أموالهم، وأطلق على هذه التسهيلات التي منحت لرعايا الدولة الفرنسية اسم "الامتيازات" وترجع أهمية المعاهدة الى إنها تعد منظمة لحياة الرعايا الفرنسيين وأقامتهم في أقاليم الدول العثمانية وتمتعت فرنسا في ظل هذه المعاهدة من الناحيتين القانونية والعملية بمركز متفوق ومرموق في الولايات العثمانية^{١٥}.

١١ فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٦٥-٤٦٧؛ عيسى اسكندر معلوف، المصدر السابق، ص ٢٠٢ وما بعدها.

١٢ جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٢.

١٣ المصدر نفسه، ص ١٧-١٨.

١٤ بول بولطا وكلودين ريللو، سياسة فرنسا في البلاد العربية، ترجمة: كامل فاعور ونخلة قريش، مراجعة: عطا حمادة، دار القدس، بيروت، د.ت، ص ١٤؛ نقولا زيادة، إبعاد التاريخ اللبناني، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٣٣-٣٤.

Foreign Office, Syria and Palestine, London, 1920, P.24.

١٥ حكمت فريجات، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى (١٩١٦-١٩٢٠)، دار النشر والتوزيع، عمان، ط ٢، ١٩٨٧، ص ٢١.

تلت معاهدة الصداقة، معاهدة أخرى بين الدولتين في ١٨ تشرين الأول ١٥٦٩م، بموجبها أباحت حرية التنقل للرعيا الفرنسيين بين الموانئ العثمانية وممارسة التجارة فيها، وضمنت لهم الحريات الفردية والدينية والتجارية، كما ضمننت لهم الحصانة في منزلهم وإعفاءهم من الخضوع للقانون المدني وقانون العقوبات العثمانية، وحددت هذه المعاهدة أنواع البضائع التي يحق للفرنسيين المتاجرة بها، وعينت الرسوم الكمرديكية المفروضة عليها^{١٦}. عمدت الحكومة الفرنسية استناداً الى الامتيازات التي حصلت عليها الى التدخل في أقطار المشرق العربي لصالح قوافل الحج الكاثوليكية الذاهبة الى بيت المقدس^{١٧}، وعقد الملك هنري الرابع (HENRY4) معاهدة صداقة مع السلطان العثماني في العشرين من أيار عام ١٦٠٤ بموجبها عمل على تجديد الامتيازات وأضاف إليها مكسباً آخر هو الاعتراف لملك فرنسا بحق حماية المسيحيين الكاثوليك من رعيا في المشرق وان يسمح لهم بالعيش بأمن وطمأنينة وحرية التنقل دون عائق^{١٨} وتبنى لويس الرابع عشر (LOUIS14) في عام ١٦٤٦ قضية الجالية المارونية في لبنان إعقاب زهرة الأساقفة المارونيين لفرنسا^{١٩}.

أخذت فرنسا تنمي مصالحها في بلاد الشام، وعدت نفسها حامية الموارد في هذا لبنان، وتوثقت عرى الصداقة بين الموارنة والفرنسيين، فقاغمت فرنسا في الخامس

طالت
الفعل
ضت
كتت

لمريق
ثمانية
إبلن

منه
صف
حتى
نكت

برمت
الأول
ة على
طورية

على
بة
ثمانية
متفق

على محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩-١٩٤٥، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص١٤.

١٦ رافت غنيمي الشيش، التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص١٠٤.

١٧ هنري الرابع (١٥٥٣-١٦١٠): أول ملك من أسرة آل بوربون على فرنسا اشتهر بشجاعته وبرعة بدهيته واهتمامه بعامة الشعب، أنكر في البداية البروتستانتية وعاد إليها بعد ذلك وعينه هنري الثالث وريثاً افتراضياً إلا ان العصابة الكاثوليكية رفضت ذلك وبعد وفاة هنري الثالث هزم هنري العصابة، وفي عام ١٥٩٤ تمكن من دخول باريس وفي عام ١٦٠٠م تزوج من ماري مديني ينظر محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ص١٩٠٨-١٩٠٩.

١٨ تحت فريجات، المصدر السابق، ص٢٣.

١٩ لويس الرابع عشر، ملك من أسرة آل بوربون حكم فرنسا في عام ١٦٤٣م بعد وفاة والده وفي عهد لويس فرنسا وأصبحت دولة كبرى، ويطلق المؤرخون على عصر لويس الرابع عشر "عصر المظلة" التي مارسها لويس بأقصى حدودها مما جعله أعظم عصره في أوربا فمارس نفوذاً عظيماً على كل الملوك والبابا في المعاصرين له فلقبه الفرنسيون بـ"الملك الشمس" الذي دلور في جميع المجالات وجعل منها دولة كبرى توفي في عام ١٧١٥م، ينظر:

The Mc Grew- Hill Encyclopedias., OP-Cit, Vol6, P.586-588.

٢٠ محمد أنيس ورجب حراز، المشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص١١٥.

فرقة
الحب

Forei
نمط

من آذار عام ١٦٥٥ بتعيين أبو نوفل الخازن وهو احد مشايخ آل الخازن الموارنة في جبل لبنان نائب قنصل لفرنسا في بيروت، ثم قنصلاً لها عام ١٦٦٢م^{٢٢}. كانت لهذه الصلة بين الموارنة والفرنسيين ذات فائدة للموارنة من الجانب السياسي إذ أدى الأمر الى تغيير خطير في ميزان القوى المارونية-الدرزية، لحلول الموارنة محل الدروز في السيطرة السياسية^{٢٣}. انتقلت الأمانة في جبل لبنان في عام ١٦٩٧م من المعينين الى الأسرة الشهابية. بعد وفاة آخر أمير حاكم من بيت معن دون عقب ذكره له وحصلت فترة قلق وفوضى، ونشب نزاع بين الأسر الكبيرة وتنافسوا على الحكم بينما كان العثمانيون يراقبون هذا الوضع^{٢٤}.

إما بالنسبة للامتيازات الفرنسية، فظلت تتأرجح بين التجديد والتجميد حسب السياسة الفرنسية التي كانت تنتهجها الحكومة الفرنسية تجاه الدولة العثمانية، وتمكن لويس الخامس عشر (Louis 15)، من تجديد الامتيازات في الثامن والعشرين من أيار عام ١٧٤٠م، وأضفى عليها صفة "الأبدية" وأصبحت هذه الامتيازات قانوناً الفرنسيين الذين يعيشون بمقتضاه في بلاد الدولة العثمانية^{٢٥}. مع قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩م، عمل رجالها على المحافظة على علاقة فرنسا مع الدولة العثمانية، لذلك قامت الأخيرة بالاعتراف بالثورة الفرنسية ولكن هذه العلاقة لم تدم وقتاً طويلاً وخصوصاً بعد قيام الفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte) باحتلال مصر ومن ثم زحف الى بلاد الشام. كان اقتراب الحملة الفرنسية من لبنان قد عزز التوتر بين الموارنة والدروز، فقد انتزعت الموارنة وصول الفرنسيين بشوق فيما خشي الدروز خشية شديدة^{٢٦}. وصل نابليون الى مدينة عكا في الرابع من آذار عام ١٧٩٨م، وفرض حصاراً عليها، إذ تحصن فيها والي صيدا احمد باشا الجزار، ولهذا أخذت مكانة الأسرة

22 ونظراً لخدماته منح الملك لويس الرابع عشر الى أبي نوفل الجنسية الفرنسية، واخذ أحد الخازن يتوارثون هذا المنصب حتى عام ١٧٥٨م وجرى فيما بعد تعيين مارونيين آخرين في المنصب منهم غندور السعد من عين تراز كبير معاوني الأمير يوسف الشهابي، للمزيد ينظر: حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٨٥-٤٨٦.

23 كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢-٣.

24 سليم بطرس أوسابيوس، دليل مراحل لبنان عبر التاريخ، د.م، ١٩٥٥، ص ٢٤؛ زاهية قريش، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص ٢٦٢.

25 حكمت فريجات، المصدر السابق، ص ٢٤.

26 محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجليل، بيروت، ط ١، ص ١٨٠-١٨٤.

27 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٥٠.

الشهابية ترتفع في نظر القوى المتصارعة، وتوالى المكاتبات وأرسل احمد باشا
الجزار يطلب المساعدة من الأمير بشير الشهابي الكبير^{٢٨}، فاعتذر الأخير عن تلبية
الطلب متظاهراً بانهماكه في إخماد الفتن التي يثيرها عليه أقاربه في الجبل^{٢٩}، وتلقى
الأخير بشير الشهابي رسالة من قبل نابليون جاء فيها: "بعد ان تم امتلاكه على القدطر
البحري بكامله قطعت الصحراء ودخلت الأراضي السورية واحتلت حصونها التي
كانت بيد الجزار وأرغمته على الاعتزال في عكا، وقد أسرعت لإطلاعك على ما تقدم
التي بما في ذلك من دواعي السرور والارتياح، فان انتصاراتي هذه قد قضت على
شعبان رجل وحش كان شراً على الجنس البشري وعلى الأمة الدرزية الشجاعة، وفي
نتي ان احقق استقلال الأمة الدرزية واخفف عنها الجزية المفروضة عليها لتؤمن
حرية تجارتها واتساعها، واني راغب في ان تحضر شخصياً في اقرب وقت ممكن
بوضع التدابير اللازمة لإنقاذك من عدونا المشترك"^{٣٠}. لم يجب الأمير بشير الشهابي
على الرسالة فبعث نابليون الى الأمير برسالة ثانية يعاتبه فيها على إهماله الرد فوقعت
هذه الرسالة بيد والي صيدا احمد باشا الجزار^{٣١}.

كذلك وصلت الى الأمير بشير الشهابي رسالة من سدني سميث (Sadny)
قائد القوات البحرية البريطانية في البحر المتوسط حث فيها الأمير ورجاله
على التعاون مع احمد باشا الجزار ضد الغزو الفرنسي^{٣٢}، إلا ان الأمير بشير الشهابي

الأمير بشير الشهابي الكبير (١٧٦٠-١٨٥٠) ولد في غزير (بالقرب من بيروت) قرية والي
احمد باشا الجزار فولاه إمارة لبنان، عمل في تعزيز الإدارية فحضر رجال الإقطاع ووطد الأمن
بالبحر في لبنان، حالف الأمير بشير محمد علي باشا على العثمانيين عام ١٨٣١م ثم ألغاه
العثمانيون الى جزيرة مالطا عام ١٨٤٠م اهتم بالمشاريع العمرانية وبنى في بيت الدين قصرأ
احمد توفي في اسطنبول، ونقلت رفاته الى بيت الدين عام ١٩٤٨، ينظر: خير الدين الزركلي،
المعجم التاريخي للعلماء، بيروت، ج ٢، ط ٥، ١٩٨٠، ص ٥٧.

²⁹ David Urquhart, the Lebanon history and Diary, vol 1,
Republished by Gregg International Publishers Limited, London,
1972, p.122.

نابليون بونابرت في رسالته على الدروز دون الموارنة وذلك ان مكانة الدروز كانت هي
التي كانت في تلك الوقت وكان بونابرت بحاجة الى كسب القوى الأقدر على تقديم المساعدة له وكذلك
كانت في الإمارة الشهابية كان للدروز فقد اتجه إليهم بونابرت دون إتباع السياسة التقليدية التي
كانت عليها بعض الحكومات الأوروبية التي كانت تسعى لدى مسيحي الشام للتنسيق معهم ضد الدولة
العثمانية المزيد من التفاصيل ينظر: جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ٤٣-٤٤.

الأمير بشير الشهابي تعمد إيقاعها في يد احمد باشا الجزار تحسباً من المستقبل، ينظر:
المصدر السابق، ص ٤٨.

المزيد من التفاصيل حول رسالة سدني سميث الى الامير الشهابي الثاني، ينظر: عبد العزيز
المنصور، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧-١٩٢٠، جامعة بيروت العربية، =

لم يقدم المساعدة الى والي صيدا ولا الى نابليون واثّر الوقوف على الحياد^{٣٣}، ويشير يوسف السودا^{٣٤}، بأن نابليون أدرك حرج موقف الأمير فاكثى منه بملازمة الحياد وبعدد الميل عليه مع الجزائر.

بعد فشل نابليون في دخول مدينة عكا الذي استمر القتال ٦٤ يوماً^{٣٥} اضطره الى رفع الحصار عن المدينة والعودة الى مصر إذ ترك جيشه فيها وعاد الى فرنسا بسبب تطور الأوضاع هناك^{٣٦}.

من آثار هذه الغزوة المباشرة انعكاسات على السياسية اللبنانية فقد أراحت ولو مؤقتاً أمير لبنان من مضايقات والي صيدا، فضلاً عن إنها شددت من حمى التوتر بين المواردنة والدروز، وما ان فشلت الحملة وتراجع القائد الفرنسي حتى اخذ احمد باشا الجزائر الانتقام من الأمير بشير الشهابي لعدم تلبية طلبه، واخذ الجزائر التدخل بالشؤون الداخلية اللبنانية، بإسناد الأمانة الى بعض الأمراء من الأسرة الشهابية المناوئين للأمير بشير، ووصل حالة الجبل في فوضى لم يعرف لها مثيل، كذلك ساعدت هذه الغزوة الجبل في انفتاحه على الغرب، إذ فتحت الابواب في وجه المؤثرات الحديثة وهي ظاهرة من اخصب الظواهر في تاريخ المنطقة^{٣٧}.

توجه الامير بشير الشهابي الى قبرص ثم الى مصر إذ قابل هناك الصر الاعظم سليمان باشا (قائد الحملة العثمانية على مصر) وعلى اثرها التقى سليمان باشا

=١٩٧٤، ص ١٥٨-١٥٩؛ المسعودي، الدولة العثمانية في لبنان وسورية، حكم أربعة قرون ١٥١٧-١٩١٦، د.م، ١٩١٦، ص ٥٦

David Uraquhart OP.cit P.122

A-L-Tibawi, A modern History of of Syria including Lebanon, and Palestine, Macmillan, First published, London, 1969, P.37..

34 حيث خشي بشير الشهابي من انتقام الجزائر له واثباتاً لعدوه في الحياد اهدى نابليون واثراً الى بشير بندقية ثمينة عربون المودة والصداقة، في سبيل لبنان، طبع بمطبعة مدرسية الاسكندرية، ١٩١٩، ص ١٦٤.

35 قام بعض الخبراء البريطانيون في تحصين الثغر تحصيناً قوياً وفقاً لحدث النظم الحربية في انطونيوس ابي خطار، مختصر تاريخ جبل لبنان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٣، ص ٩٨.

36 تواترت الانباء الى نابليون بتأليف حلف اوروبي ضد فرنسا، للمزيد ينظر: احمد نصير ومحمد قاسم، التاريخ الحديث والمعاصر، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٣٧٩-٣٧٨.

37 ملحم قربان، تاريخ لبنان السياسي الحديث، الاستقلال السياسي، المؤسسة الجامعية للنشر والنشر والتوزيع، بيروت، ج ١، ط ٢، ١٩٨١، ص ٦٨-٩٦.

الجزار واقفنه السماح للامير بشير بالعودة الى جبل لبنان^{٣٨}، ولم يسلم الامير بشير من ضغوط والي صيدا حتى عام ١٨٠٤م اذ توفي الجزار وبهذا ازيلت عقبة رئيسة كانت تعترض سبيل الامير بشير لتحقيق اغراضه، وبدأ الامير بتوطيد مركزه في لبنان وما ان حل عام ١٨١٩م اصبح سيد لبنان المطلق^{٣٩}.

خضعت بلاد الشام من بينها جبل لبنان في الاعواد (١٨٣٢-١٨٤٠م) الى سيطرة محمد علي باشا، وقد احدث الاحتلال المصري لبلاد الشام تغييراً خطيراً في الوضع الدولي اذ اعلن الباب العالي ان محمد علي خرج على السلطة وارسل جيشاً لقمع ابنه ابراهيم باشا من بلاد الشام^{٤٠}.

اصطدم ابراهيم باشا بالجيش العثماني عند مضيق بيلان^{٤١} فهزم الجيش العثماني وتمكن ابراهيم باشا بعد ذلك من دخول انطاكية واصبحت جيوشه على شرف جبال طوروس واستنجد السلطان العثماني محمود الثاني^{٤٢}، بالدول الكبرى، لكنها كانت مشغولة اذ بريطانيا كانت منهمكة في شؤونها الداخلية والاوربية^{٤٣}، بينما فرنسا كانت متحمسة لفوز محمد علي، اذ ان الفرنسيين كانوا ينظرون الى والي مصر بصفته خليفة نابليون الروحي في مصر فلم يجد السلطان العثماني الا روسيا^{٤٤}.

لقد هال ظهور البوارج الروسية في الاستانة كل من فرنسا وبريطانيا فسارعتا الى عقد صلح بين محمد علي والسلطان العثماني وعرف باتفاق "كوتاهية" وبموجبها

الخوري منصور الحتوني، من تاريخ لبنان نبذة مختصرة في المقاطعة الكسروانية، نقحها وهذبها بيروت: يوسف ابراهيم يزبك، د.م ط ٢، ١٩٥٦، ص ١٨٠.

المصدر نفسه، ص ١٨٢؛ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٥٢.

عبد عزت عبد الكريم واخرون، تاريخ العالم العربي في العصر الحديث، دار سعاد مصر للطبع والنشر والاعلان، القاهرة، د.ت، ص ٩٠.

فتح مضيق بيلان بين انطاكية والاسكندرونة.

الحصول الثاني (١٧٨٤-١٨٣٩) سلطان عثماني جلس على العرش عام ١٨٠٨م بعد خلع اخيه مصطفى الرابع، استمرت في عهده الحرب الروسية-التركية (١٨٠٦-١٨١٢) وفقدت فيها الدولة العثمانية بسارابيا ولكنها عوضتها باسترجاع صربيا ١٨١٣م، اخمد ثورة علي باشا والي يانينا التي على ثورة اليونانيين في المرحلة الاولى من حرب الاستقلال اليونانية، واباد عام ١٨٢٦م اقلية الكشيرية لتمردهم على النظام وفي عهده غزا محمد علي فلسطين وسوريا والاتاضول، توفي في ١٨٤١م. ينظر: محمد شفيق غريال، المصدر السابق، ص ١٦٦٣.

د.رستم، بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤-١٨٤١، الخوري منصور الحتوني، منشورات اللجنة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية، القسم الاول، بيروت، ١٩٥٦، ص ٨٥-٨٩؛ هاشم صالح القرني، المسألة الشرقية، المرحلة الاولى ١٧٧٤-١٨٥٦، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٣١.

كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٣.

اعطي لمحمد علي بلاد الشام بشرط ان ينسحب من الاناضول^{٤٥}. ولكن روسيا رفضت ان تسحب بوارجها الا بشروط وبالفعل عقدت معاهدة هنكار اسكسلي في تموز عام ١٨٣٣م وبموجبها بلغ النفوذ الروسي اوجه في السلطنة العثمانية^{٤٦}.
لم تطمئن فرنسا وبريطانيا الى هذه المعاهدة واستمرت فرنسا في تأييدها لمحمد علي، على امل ان يضمن لها نجاحه مقام الصدارة في المنطقة ورفضت القبول بأية تسوية على حسابه، وقررت بريطانيا ازالة محمد علي من بلاد الشام^{٤٧}.
كان الحكم المصري في بلاد الشام بصورة عامة وفي جبل لبنان بصورة خاصة حكماً مقبوتاً فلا عن نفقات الاحتلال الباهظة فبدأ ابراهيم باشا باتخاذ اجراءات تعسفية منها استخدام السخرة والتجنيد الاجباري وفرض ضرائب فادحة وحاول الفرنسيون في جبل لبنان باقناع الاهالي من النصارى بان الضرائب الباهظة التي فرضها محمد علي لها ما يبررها عقب التهديد باشهار الحرب عليه من قبل بريطانيا والدول الكبرى ولكن هذه المحاولات لم تقل في تهدئتهم^{٤٨}.
بدأ التقارب بين مختلف الطوائف المناهضة للحكم المصري، واتفق الموارنة والشيعية والسنة والدروز في انطلياس في الثامن من حزيران عام ١٨٤٠م على التضامن فيما بينهم ثم على الثورة على المصريين^{٤٩}. واصر البطريرك يوسف حبيش

45 تختلف اتفاقية كوتاهية في سائر الاتفاقيات كونها تمت شفهيّاً، ينظر: اسد رستم، المصدر السابق، ص ٩٣-٩٤.

46 ذوقان قرقوط، تطور الفكرة العربية في مصر ١٨٠٥-١٩٣٦، المؤسسة العربية للدراس والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٠٠-١٠٨؛

Derek Hopwood, The Russian Presence in Syria and Palestine 1843-1914 (Church and politics in the Near East) Clarendon press Oxford, London, 1969, P.6-7

47 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٦٨، ٦٤.
48 انطوان كتافكو، فتوحات ابراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا، وثائق تاريخية عن تقارير انطوان كتافكو قنصل النمسا في عكا وصيدا ١٨٣١-١٨٤١، ترجمة: الخوري قرالي: مطبعة القديس بولس، حريصاً، ١٩٣٧، ص ٣٨؛ الخوري منصور الحتوني، المصدر السابق، ص ٢١٦-٢١٧.

49 F. Harik, Politics and Chang in traditional Society Lebanon, 1744-1845, Princeton University press, New Jersey, 1968, p.244.

49 احمد طربين، ازمة الحكم في لبنان منذ سقوط اسلارة الشهابية حتى ابتداء عهد المصطفى (١٨٤٢-١٨٦١) دراسة في التاريخ السياسي والاجتماعي، ديم، ط١، دمشق، ١٩٦٦، ص ٥١.
50 فيليب حتي، المصدر السابق، ص ٥١٥؛

F. Harik, op. cit., p.245.

نداء بالثورة على المصريين واصدرت السلطات العثمانية مراسيم عدة تحرض على الثورة وكان لبريطانيا دور كبير في التحريض اذا اخذت تشدذ الهمم في جبل لبنان^{٥١}. حاولت فرنسا وهي الدولة الكبرى الوحيدة التي نصرت محمد علي وساعدته في وقت الثورة في لبنان عليه ولكن موقفها كان دقيقاً فقد كان الثوار الموارنة ينتظرون مساعدة ملك فرنسا لويس فيلي^{٥٢}، وكان محمد علي يعلق عليه الآمال ولكن محاولات الفرنسيين في حث البطريك على وقف الثورة فشلت، وسعى الفرنسيين لدى محمد علي لتقديم تنازلات معينة للموارنة بوقف الثورة وكان المشروع الفرنسي يقوم على ما يأتي:

١. عودة المنفيين من عكار وسنار.
٢. الغاء التجنيد.
٣. الحكم الذاتي لجبل لبنان على ان يدفع ضريبة سنوية لوالي مصر. ولكن هذه الجهود الفرنسية لم تحرز تقدماً، وبذلك فشل الفرنسيون مع الجانبيين^{٥٣}. قررت بريطانيا ازاحة محمد علي من بلاد الشام وبدأت اتصالاتها مع الدول الكبرى (بروسيا، النمسا، روسيا) واتفقوا على الحول دون انهيار الامبراطورية العثمانية وارسلوا مذكرة مشتركة طالبوا فيها السلطان العثماني على قطع المفاوضات الحربية مع محمد علي، اما فرنسا فاثرت الاستمرار في تأييد محمد علي، وطالبت المفاوضات بين الدول الكبرى، لكن فرنسا لم تبدل موقفها، فما كان من الدول لا انها اقرت بالعمل فقعدت مع العثمانيين في ١٥ تموز ١٨٤٠م معاهدة لندن، وفيها عرضت الدول على محمد علي ولاية مصر وراثياً، وولاية عكا مع الجهات الشامية الخيرية مدى الحياة، على ان يعلن قبوله بهذا العرض في مدة عشرة ايام، فاذا لم يفعل سحب الدول عرضها الخاص بولاية عكا، اما اذا لم يجب في مدة عشرين يوماً، سحب الدول عرضها بكامله^{٥٤}.

٥١. عز الدين قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ٧٥؛ كمال جنبلاط، في مجرى السياسة اللبنانية، دار التخطيط للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص ٥٧.

٥٢. ولد في باريس ١٧٧٣، من عائلة آل بوريون حكم فرنسا من عام ١٨٣٠ الى ١٨٤٨. شهد عهده ازدهار الثقافي والاجتماعي واسقط حكمه بثورة شباط ١٨٤٨م، ينظر:

The Mc Graw-Hill Encyclopedis., Op. Cit., Vol6, p.593-594.

٥٣. عز الدين قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ٧٦.

٥٤. معاهدة لندن ينظر: هيلينا كوبان، لبنان ٤٠٠ سنة من الطائفية، ترجمة وتقديم سسير هادي لايت، لندن، ١٩٨٥، ص ٣٨-٣٩؛ اسد رستم، المصدر السابق، ص ١٨٥.

A. B. Cunningham, The early correspondence of Richard Wood, 1831-1841, vol, London, 1966, p.152-153.

ثارت ثائرة فرنسا على هذه المعاهدة، لكنها كما قدر وزير خارجية بريطانيا بالمرستون، لم تكن على استعداد للمغامرة بحر مع الدول الأوروبية في سبيل محمد علي، وشرعت الدول الاخرى باتخاذ تدابير احترازية، فأمرت بريطانيا اسطولها في البحر المتوسط بقطع جميع المواصلات البحرية بين مصر والموانئ الشامية^{٥٥}. في الحادية عشر من ايلول عام ١٨٤٠م ظهرت البوارج البريطانية والنمساوية في مياه بيروت، وقصفت بيروت والمدافع، ونجحت الدول الحليفة من السيطرة على المناطق الساحلية، وفي الثالث من تشرين الثاني من العام نفسه سقطت عكا اهم موقع ساحلي للمصريين^{٥٦}، ونجحت بعد ذلك في سحق قوات ابراهيم باشا الذي اضطر الى الانسحاب الى مصر^{٥٧}.

كان تأثير الحملة المصرية على بلاد الشام بشكل عام وجبل لبنان بشكل خاص عميقاً جداً، فبعد ان التزمت فرنسا جانب محمد علي رافضة القبول بأية تسوية على حسابه، كان من الطبيعي ان تجد دعايات الفرنسيين وتحركاتهم صدى بين المواردية. بينما التزمت بريطانيا جانب السلطان العثماني فوجدت دعاياتهم وتحركاتهم استجابة بين الدروز، فكانوا ثائرين على محمد علي، فضلاً عن انها دقت اسفينا قوياً بين بريطانيا وفرنسا^{٥٨}. وبانتهاء الاحتلال المصري، انتهى عهد الامير بشير الشابي الكبير في جبل لبنان الذي ساند محمد علي وتم نفيه الى مالطا^{٥٩}.

من خلال ذلك يتضح بأن القوى السياسية الخارجية ادت دوراً خطيراً في اثارت حركة التمرد التي وقعت في جبل لبنان عام ١٨٤٠، وانها لم تكن ردة فعل للاحداث الخارجية فقط، بل انها عكست ازمة اجتماعية معقدة تقربت بين الفلاحين والمشايخ الاقطاعيين في وجه الخطر المشترك، اذ انتفض الفلاحون الموارنة والدروز ضد الاضطهاد والظلم والسيطرة المصرية الممقوتة، وثار المشايخ لاستعادة ما فقده في عهد الامير بشير الشهابي الكبير من امتيازات وحقوق ومكانة، فوحدوا مساعيهم فضلاً عن ما تلقوه من دعم خارجي كان الفضل في تعزيز حركتهم.

55 كمال سملان الصيبي، المصدر السابق، ص ٦٨.

56 اسد رستم، المصدر السابق، ص ٢١٢-٢١٣.

Malcolm H. Kerr, Lebanon in the Last Years of Feudalism (1840-1863), Beirut, 1959, p.3.

58 احمد طربين، المصدر السابق، ص ٥٢.

59 جواد بولس، تاريخ لبنان، ترجمة: جورج حاج، مراجعة: يوسف الحوراني، دار النهار للنشر.

بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٤٥.

Malcom H.Kerr, op-cit, p.3.

نهاية الحروب الاهلية اللبنانية

الحرب الاولى عام ١٨٤١م

بعد انتهاء حكم الامير بشير الشهابي الكبير عام ١٨٤٠م بدأ عهد جديد في تاريخ جبل لبنان، اذ اكتسب الموارد قوة اكثر من التي اكتسبها في عهد الامير بشير، فشاركهم في جلاء القوات المصرية زادت ثقتهم بانفسهم، وبدأت تتكون لديهم فكرة استقلالية، وتكون لدى بعضهم امل بتخليص الجبل كله، والتحكم فيه بتأييد من روسيا ودعمها^{٦١}.

جربت كل من الدول الاوربية الكبرى ان تتخذ من الوسائل السياسية والاقتصادية والمالية ما يكفل لها بسط نفوذها في المنطقة، ولا سيما اذا كان عامل الدين الطائفي من افضل واخصب هذه الوسائل واطورها اثرأ على الطوائف المختلفة، على الفاصل والممثلون والعملاء ادواراً غاية في الخبث لاثارة النزعات وببلة الفتن وزرع الفتنة والمكائد^{٦٢}.

ومن بين هؤلاء الكولونيل روز (Rose) القنصل البريطاني الذي جاء الى بيروت عام ١٨٤٠ وكان هدفه الاول هو اسقاط النفوذ الفرنسي في المنطقة العربية، كانت كلمته قيمتها في الدوائر العثمانية في بلاد الشام^{٦٣}. وحاولت بريطانيا التقرب من الموارد الا انهم لم يفلحوا حيث بعث القنصل البريطاني في بيروت روز تقرير رسمي الى حكومته يقول فيه: "ان الموارد مستسلمون نفساً وجسداً الى فرنسا، وعليه لا يمكن ان تختار في الامر بل امسى من المحتم عليها عضد الدروز"^{٦٤}.

نتيجة لذلك حول البريطانيون اهتمامهم الى الدروز فبدعوا باثارة شكوك الدروز ضلوا فرنسا، بوصفها حارسة الموارد فسرت الشائعات عن تسليم الفرنسيين ضد الدروز وعن وقوف قوات فرنسية على اهبة الاستعداد لدعم المسيحيين ضد الدروز، ولم يستغرب الدروز لهذه الشائعات، اذ شهدوا قيام بعض الرهبان بالمرافعة ورفع العلم الفرنسي على اديرتهم فعدوها تحدياً لهم^{٦٥}.

المصدر السابق، ص ٥٤.

⁶¹ Earl Carnarvon, Recollection of the Lebanon, Notes on the religion, third Edition, London, 1861, p.119-120; Foreign office, cit, p.33.

المصدر السابق، ص ٨٤.

المصدر السابق، ص ٧٧؛ فؤاد شاهين، الطائفية في لبنان، حاضرها وتاريخها، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٨٠.

المصدر السابق، ص ٩٠.

كذلك بذل القنصل الروسي في بيروت بازيل (Bazely) اهتمامه الى الدعوة لحشد صفوف الطائفة الارثوذكسية تحت الراية الروسية مع الحرص على توسيع الخلاف بين الارثوذكس والموارنة ضد الكنسية الكاثوليكية وبذلك ظهر نفوذ ديني جديد يجابه النفوذ الفرنسي، فضلاً عن قنصل النمسا في بيروت فكبر (Fkbker) اذ صرح منذ وصوله قائلاً: "ان حماية الكاثوليك في الشرق اصبحت الان من حق النمسا"، ولم يكتف بذلك بل قدم للبطريرك الماروني مبلغ (٤٥٠٠) ليرة ذهبية ليوزعها على المنكوبين، كما وزع مبالغ اخرى على رجال الدين الروم الكاثوليك وخاطبهم بحضور البطريرك بأن حكومته مستعدة لدفع مليون فرنك اذا قبلت الطوائف الكاثوليكية حماية امبراطور النمسا^{٦٥}.

ارسلت فرنسا قنصلها بورية (Boure) الخبير بشؤون الشرق والسياسة العثمانية، وكانت فرنسا تبذل جهوداً للحفاظ على نفوذها عند الدروز وكانت تريد ابقاء الموارد والدروز بعيدين عن تأثير بريطانيا والنمسا وروسيا ومما قاله القنصل الفرنسي بوريه: "ان وجود النصارى ضروري للدروز، وان وجود الدروز لا غنى عنه لضمان كيان النصارى"^{٦٦}.

اما في الداخل فكانت الحالة شديدة الاضطراب، وخصوصاً سوء ادارة بشير الشهابي الثالث^{٦٧} الذي اكتسب عداوة الجميع، وبعد عودة زعماء الدروز الاقطاعيين الذين اجبروا على ترك البلاد في اواخر الحكم المصري طالبوا بالحقوق والامتيازات التي خسروها، الا ان بشير الثالث رد هؤلاء واتخذ تدابير تزيد في اضعاف نفوذهم وجرد آخرين من بعض ما تبقى لهم من سلطة، ودبر ايضاً خطة لتنفيذ مذبحة لهم ولكن من حسن حظ الدروز ان القنصل الفرنسي كان لا يزال يسعى الى كسب الدروز الى جانبه، فحذر الزعماء الدروز مما يدبر لهم^{٦٨}.

وفي ايلول عام ١٨٤١م وقعت حادثة كانت الشرارة الاولى لاشعال نار الفتنة وكانت بداية الاصطدام بين الدروز والموارنة، ذلك ان مارونياً اصطاد حجلاً على ارض لحد دروز بلدة بعقلين فوق وقع من جراء ذلك خصام اتخذ في الحال طائفية، اذ اغارت جماعة من مسيحي دير القمر على بلدة بعقلين بالسلاح فقتلوا صليباً

65 احمد طربين، المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦.

66 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٨٨.

67 بشير الشهابي الثالث: حاكم لبنان (١٨٤٠-١٨٤١) المعروف بالصغير، كان ضعيف عاجز عن امساك زمام الحكم، فاسلم نفسه للاتراك فارسلوه الى الاستانة وتوفي فيها عام ١٨٤١. ينظر: فردينان توتل، المنجد في الادب والعلوم، معجم لاعلام الشرق والغرب، الطبعة الاولى، بيروت، ط ١، ١٩٦٠، ص ٧٧.

68 البعد التاريخي للحرب الاهلية اللبنانية بحث منشور في الانترنت على الموقع الثاني: www.Maqatel.Com; Eart carnarvon, op-cit, p.17.

عزّازيا^{٧٩}، ولكن ما ان علم البطريك الماروني بالحادث فأرسل وفداً لتسوية
السلة واعلن مشايخ الدروز عن صدق رغبتهم في نسيان الحادث^{٨٠}.

وافتهز الدروز دعوة الامير بشير الثالث لزعمائهم في ١٣ تشرين الاول ١٨٤١م
ليجتمع في نظام توزيع الضرائب الجديد، وتقدموا نحو دير القمر وحاصروا قصر
المر، وهاجم فريق منهم دور المسيحيين في المدينة، وتحول القتال الى كارثة مروعة
للموارنة دير القمر^{٨١}، وما ان سمع البطريك بما حدث في دير القمر حتى
اتى ليوالب الكنائس وطلب من كل مسيح ان يحمل السلاح وهاجمت القوات المارونية
من المواقع المتفرقة الدرزية لينتشر لهيب الحرب الاهلية بسرعة في البلاد، وكان
من الواضح منذ البداية ان كفة الدروز ارجح، اذ سيطروا على المناطق المارونية في
الجنوب، واتجهوا بعد ذلك الى مناطق الشمالية ووقف الروم الارثوذكس الى جانب
الدروز اذ كانوا يعتقدون ان التفوق الماروني يعرضهم الى اضطهاد ماروني يهدف
لإزاحتهم من عقيدتهم^{٨٢}.

عندما اشتد الضغط الدرزي على الموارنة استتجد الاخير بالسلطات العثمانية
ليقتضوا، ولاسيما بالقنصل الفرنسي، واثرت الدوائر الفرنسية الحكومية والشعبية
على الحرب الاهلية، وتوالت على الفرنسيين استجدادات الموارنة وتقارير قنصلهم
على القيام بعمل ايجابي لانقاذ الموارنة، وكانت السلطات الفرنسية مستعدة لان
تدعم على خطوات تحافظ بها على مكانتها بين الموارنة لان هزيمتهم توحى بانها
خسارة فرنسا في بلاد الشام، ولهذا ارسلت الحكومة الفرنسية وحدات من بحريتها الى
الداخل اللبنانية وما ان وصلت حتى اجتاحت الموارنة موجة من الفرح، ورفع العلم
الفرنسي فوق بعض الاديرة، ووزعت القنصلية الفرنسية السلاح على الموارنة، واعلن
الفرنسيون عن انحيازهم الكامل بجانب الموارنة، وبذلك فقدوا الدور الذي كان من الممكن
الانحياز في التوفيق بين الدروز والموارنة^{٨٣}.

اتر هذا الامر كل من العثمانيون والبريطانيون والدروز، ورأت السلطات
عسكرية ان فرصتها لفرض نظام الحكم المباشر، واوفدت مصطفى باشا اذ اجتمع مع
عبد القادر، واعلن انتهاء حكم اسوة آل شهاب وقرأ فرمانا باسناد الحكم في جبل لبنان

^{٧٩} انوار افرام البستاني، مذكرات رستم باز، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية،
بيروت، ١٩٥٥، ص ١٠٥.

^{٨٠} محمد سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٨٠.

^{٨١} محمد طرين، المصدر السابق، ص ٦٢.

Iliya F. Harik, op-cit, p.105.

^{٨٢} محمد الصغير، بنور معروف (الدروز) في التاريخ، مطبعة الاتقان، بيروت، د.ت، ص ٨٢-٨٣؛
محمد طرين، الحرب الاهلية اللبنانية بحث منشور في الانترنت، المصدر السابق.

^{٨٣} محمد زكريا قاسم واخرون، المصدر السابق، ص ٨٩.

الى عمر باشا النمساوي، قابل الدروز الاجراءات العثمانية بالترحيب والرضا بينما امتنع الموارنة من ذلك^{٧٤}، لا وعارضت فرنسا الاجراءات العثمانية لانها تحد من نشاطهم في البلاد^{٧٥}.

اسفرت هذه الحرب والتي عرفت بـ "الحركة الاولى" عن مقتل ٣٠٠ رجل، وعن دمار في الممتلكات تقدر قيمته بنصف مليون دولار، واحترقت قصور الشهابيين^{٧٦}.

عجز عمر باشا النمساوي في ان يظفر بولاء الدروز او الموارنة وتعاونهم معه وزداد التوتر مرة ثانية، وفشل العثمانيون في اعادة الحكم المباشر الى جبل لبنان^{٧٧} كما ان السفراء الاجانب رفضوا المشروع العثماني، وعلى اثر ذلك قدم الفرنسيون مشروعاً هو ان يحكم جبل لبنان امير مسيحي وعودة الامير بشير الشهابي الكبير، الا ان بريطانيا رفضت هذا المشروع، كما ان الدروز لا يرضون بعودة الشهابيين الى الحكم^{٧٨}.

بدأت المفاوضات بين الممثلين الاوربيين مع الباب العالي لاعادة تنظيم الحل واقترح مترنيخ (MTERNCH) رئيس وزراء النمسا مشروعاً وبموجبه يقسم جبل لبنان الى منطقتين اداريتين (قائمقاميتين) شمالية يتولى ادارة شؤونها قائمقام ماروني، وجنوبية يتولى ادراتها قائمقام درزي، ويتبعان والي صيدا، وافقت الدول على المشروع واضطرت فرنسا ان تقبل به، وفي الاول من كانون الثاني عام ١٨٤٣م عين اسعد باشا والي صيدا، الامير حيدر اسماعيل ابي اللمع قائمقام على منطقة النصارى، والامير احمد ارسلان قائمقام على منطقة الدروز^{٧٩}.

رفض البرلمان الفرنسي التصديق على هذا المشروع وشعر بان شكل الحل الجديد قد يلحق الحيف على لبنان وصرح "بوجوب الرجوع الى ادارة حكم تكون متعادلة لاماني اهل لبنان"^{٨٠}.

يتبين لنا ان قيام الحرب الاولى هي تسوية اولى لحساب قديم اذ كان للفرنسيين والبريطانيين دور لا يستهان به في الاضطرابات وانتشار الفوضى. وقد لايجاد نقاط استناد لهم في الجبل، فضلاً عما كان يولده بوارج حربية تابعة لهذه الدولة. تلك، وكان نزاع عملاء الدولتين يمثل النزاع التقليدي بين فرنسا وبريطانيا، فضلاً عن سياسة الباب العالي الجديدة، وهي سياسة الحكم المركزي المباشر وما يقتضيه من تدخل.

74 المسعودي، المصدر السابق، ص ٦٦؛ سعيد الصغير، المصدر السابق، ص ٨٣؛ ملحم قريش، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٦.

75 احمد طريبين، المصدر السابق، ص ٦٨.

76 فيليب حتي، في التاريخ، ص ٥٢٧.

Iliya F Harik, op-cit, p.268.

78 جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٤-٩٥.

79 Malcolm. H Kerr, op-Cit, p.6-7; Iliya F.Harik, op-cit, p.271.

80 يوسف السودا، المصدر السابق، ص ٢١٣.

الفرقة بين عناصر السكان كي يتسنى اخضاعها جميعاً، فضلاً عن كل هذا ان لبنان كان
 بحاجة لتقبل بذور الفتن ونموها، وان لجوءهم في كل آن وحين الى قناصل الدول
 الغربية قد شجع هؤلاء على المضي في تدخلاتهم واسهموا في اعطائهم دوراً اساسياً في
 تحرير استقلال لبنان واللعب بمصيره.

الحرب الثانية عام ١٨٤٥م

تطوى نظام القائمقاميتين على صعوبات خطيرة اذ ان الكثير من الدروز كانوا
 يقيمون قائمقامية النصاري، وكذلك النصاري يسكنون قائمقامية الدروز، وهذا ما اكده
 بورقنا في الاستانة بوركنه (BOURQUENEY) عندما كتب الى وزير خارجيته
 (GEZO) قائلاً: "ان تطبيق نظام الحكم الجديد في المناطق المختلطة يلاقي
 صعوبات توقعناها ولكنها تفوق مخاوفنا الاولى"^{٨١}.

لم يمض وقت طويل على تطبيق نظام القائمقاميتين حتى اصطدم الدروز
 بالفرقة مجدداً، اذ بدأها النصاري واحرقوا (١٤) قرية درزية، وفي ايار عام ١٨٤٥
 اندلعت الحرب الاهلية وامتدت الى معظم المناطق^{٨٢}، وعندما اشتد القتال بدا واضحاً ان
 الفرقة هي الأرجح وتوالت الهزائم على الموارنة في عبيه ودير القمر وجزين
 وحصن^{٨٣}، واخذ الموارنة يطلبون من القناصل انقاذهم من الدروز وحلفائهم^{٨٤}،
 اندلعت هذه الحرب التي اتخذت صفة الحرب الدينية حتى شهر تموز عام ١٨٤٥
 انتهت بالحرب الثانية^{٨٥}.

وجه ممثلوا الدول الكبرى مذكرة جماعية الى والي صيدا وجيهي باشا^{٨٦} بسبب
 الفتنة الاخيرة، لفتوا فيها النظر الى عدم التزام جنود السلطان جانب الحياد مما سهل
 انتشاره، كما وجهت الحكومة الفرنسية الاتهامات الى السلطات العثمانية اذ ارسل
 وزير الخارجية الفرنسي غيزو الى سفيره في الاستانة بوركنه مذكرة اشار فيها الى "ان
 المودة (العثمانية) غمست يدها في دم المسيحيين في ظروف عديدة واتت اعمالاً بربرية
 تتنافى مع ادنى شك في تأمر الباب العالي مع اعداء الموارنة"^{٨٧}.

^{٨١} محمد طرين، المصدر السابق، ص ٧٧.

^{٨٢} كتب حتى، في التاريخ، ص ٥٢٩.

^{٨٣} Liya F. Harik, op-cit, p.272.

^{٨٤} انضم الى جانب الدروز في الحرب الارثوذكس وشجعهم القنصل الروسي بازيل وكذلك جماعات
 من المسلمين السنة للمزيد ينظر: نظام القائمقاميتين والحرب الاهلية الثانية (١٨٤٢-١٨٤٥)،
 منشور في الانترنت على الموقع الاتي:

<http://www.Maqatel.com>

^{٨٥} السعودي، المصدر السابق، ص ٦٧.

^{٨٦} خلف اسعد باشا على ولاية صيدا في الثالث من ايار عام ١٨٤٥م

^{٨٧} يوسف السودا، المصدر السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

طرحَت مسألة لبنان على البرلمان الفرنسي في جلسة ١٥ تموز / ١٨٤٥م وانهم احد الاعضاء وهو دي كارتر بارب (DE CATER PARB) الحكومة الفرنسية بالضعف وعدم قيامها بالواجب نحو اللبنانيين فاجابه غيزو، بأن السلطات العثمانية هي المسؤولة عن الحوادث الاخيرة وصرح ايضاً بان فرنسا لا تقتر عن مساعدة اللبنانيين في تحقيق امنيتهم وانها لا تتحول عن سياستها القديمة المعروفة من المطالبة باعادة امارة لبنان ما كانت عليه^{٨٨}.

دار جدال شديد في البرلمان الفرنسي وتصدى دي منتا لامبر (de mnti) (lamber) للسياسة الفرنسية نحو لبنان وأشار في خطابه "ان فرنسا هي حامية مسيحي لبنان ولكنها عاجزة عن الانفراد بالتدخل في اموره"، وانتقد حكومته لانها فتحت باب مشاركة الدول الكبرى لفرنسا في تحديد مصير لبنان، اذ ان بريطانيا تساند الدروز وتعمل على ارغام المسيحيين في لبنان على الاقتناع بان الحماية الفرنسية لا تفيدهم وانما حماية بريطانيا لهم هي المفيدة^{٨٩}. واجاب غيزو: "لا ريب انه لم يجل في خاطر المسيو دي منتا لامبر ان على فرنسا ان ترسل جنوداً الى سوريا لمنق القلاقل اذ ليس في وسعها ان تعمل سوى ما يوليها نفوذها بتتبيها الحكومة العثمانية الى ما هو جار في سوريا لتراقب سرقة ماموريتها وتشاد عليهم لياتمورا بأمرها بحيث تكون ادارتها منظمة فعالة نفاذة. وليس اصعب من اجراء هذه الاصلاحات في تركيا فكيف يطلب اليها ادخالها بتمامها فجأة في بلاد اكثر اضطراباً من سائر ولايات السلطنة"^{٩٠}. واكد غيزو دور حكومته في تسهيل قائل: "ان سفير الملك في الاستانة انفذ حالاً حالاً الى شواطئ سوريا بارجتين... وهي تسهل جميع المساعدات المادية باذلة كل ما بوسعها من العصد الادبي واذا اقتضى الامر سنلحقها ببوارج اخرى" و اضاف "اننا باتفاقنا مع سائر الدول الاربع لنعمل سوية على صيانة المصالح المتوجب علينا حفظها في الشرق لم نكتب على انفسنا عهداً بعدم التدخل الا باتفاق الدول الخمس، ولم نغل ايدينا ولم نتنازل عن حقنا بالانفراد في حماية مسيحي الشرق كلما استطعناها وتوجب علينا ولم نعدل عن اجراء مفعول هذه الحماية مستفيداً كلما رأينا الظروف مناسبة لقد اقدمنا على تسوية بعض المسائل باتفاق الدول الخمس على رأينا الاتفاق على تسويتها في العاجل طبقاً لمصالح الاهلين افضل من الانفراد بها وعدم تحققنا في وسعنا الاستقلال بتسويتها لم نترك مقدار ذرة من امتيازاتنا القديمة"^{٩١}. و اضاف ايضاً "اننا بحاجة الى زيادة التوفيق بين ارائنا وآراء الحكومة البريطانية في الحوادث الجارية في لبنان وفي اسبابها والوسائل الجدية الكافلة معالجتها اذ يوجد بعض

88 المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

89 عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

90 فيليب وفريد الخازن، المصدر السابق، ص ٢٠١-٢٠٢.

91 عبد العزيز سلمان نوار، المصدر السابق، ص ٣٩٠-٣٩١.

الآراء بخصوصها بين معتمدي الحكومتين في سوريا وانا لا ارتاب بل اؤكد ان الحكومتين تنتظمهما نية واحدة وهي عدم السماح بتجدد الفطائع التي جرت في لبنان وتطعيم الموارد ليد الدروز او بالعكس^{٩٢}.

من الخطاب الذي رد به الوزير الخارجية الفرنسي غيرز يتبين لنا ان الحكومة الفرنسية كانت قد حركت بعض قطعها الحربية الى لبنان تحت ستار تقديم المساعدة للموارنة الذين نكبهم الدروز وكانت تسعى الى ارسال جنود فرنسيين الى سوريا الا ان وزير الخارجية الفرنسية كان يدرك ان ذلك يتطلب موافقة بريطانيا على هذه الخطوة اذن كانت فرنسا تخطط باستمرار لاستعمار لبنان مستغلة العاطفة الدينية والمذهبية، لقد كانت هذه الدول الاستعمارية ذكية في استخدام المبادئ النبيلة والانسانية من اجل تحقيق اهدافها الاستعمارية.

بذلت الحكومة الفرنسية جهدها في سبيل اعادة الامارة اللبنانية والغاء اتفاق السلع من كانون الاول ١٨٤٢م فلم تجد التعضيد الكافي من سائر الدول^{٩٣}.

نتيجة لتلك الاحداث ارسلت الدولة العثمانية وزير خارجيتها شكيب افندي الى بيروت لتنفيذ سياسة تؤدي الى الاستقرار، اذ وصلها في ١٤ ايلول ١٨٤٥م وطلب من القنصل البريطاني وفرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا ان لا يتدخلوا مطلقاً في شؤون البلاد المحلية واستدعاء رعاياهم فوراً بما فيهم الارسلات البروتستانتية والكاثوليكية في مهلة اسبوع عشرة ايام ريثما ينتهي من وضع نظام جديد^{٩٤}.

اعاد شكيب افندي تنظيم القائمقاميتين على اساس جديدة بحيث يكون لكل قائمقام من نوابه القائمقام نفسه من نائب القائمقام، وقاضي ومستشار عن كل من الوظائف المدنية والمسنة، الدروز، الموارنة، الروم الارثوذكس، والروم الكاثوليك بينما اقتصر على الطائفة الشيعية في المجلس بمستشار^{٩٥}، وقام شكيب افندي بتعيين اعضاء مجلسي القائمقامين وكان للمجلس في كل من القائمقاميتين مهمتان الاولى مالية وهي تقدير الضرائب وتوزيعها على المناطق وجبايتها والثانية قضائية وهي النظر في الدعاوى المحالة عليه من القائمقام وعرف هذا النظام بنظام شكيب افندي^{٩٦}.

لما فرنسا فوقفت موقف المتحفظ وأكدت بأنها تريد الرجوع الى وحدة السلطة الشيعية برئاسة آل شهاب وضرورة تفوق الموارنة لذلك فقد صرحت إنها تعد بان نظام

^{٩٢} انظر وفريد الخازن، المصدر السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣.

^{٩٣} يوسف السودا، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

^{٩٤} نظم القائمقاميتين والحرب الاهلية الثانية (١٨٤٢-١٨٤٥) بحث منشور في الانترنت، المصدر السابق.

^{٩٥} اعترف العثمانيون بانظمة شرعية خاصة بالشيعية للمزيد ينظر:

Iliya E. Harik, op. cit., p.272.

^{٩٦} Ibid., p.273.

شكيب افندي تدبير مؤقت، إما بقية الدول الأوروبية فكانت تريد وضع نهاية للمسألة اللبنانية، وبدأ لها ان نظام شكيب افندي هو أفضل نظام للتسوية في ذلك الوقت لأنه يؤيد استقلال الجماعات المسيحية في جبل لبنان وتعطيهم ضمانات جدية^{٩٧} ووضع النظام الجديد إحكامه موضع التنفيذ في نهاية تشرين الأول عام ١٨٤٥م^{٩٨}.

٣. الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٨٦٠م والموقف الدولي منها
كان النشاط الفرنسي الواسع النطاق في بلاد الشام كفيلاً بأن يحث العناصر المؤيدة لفرنسا في جبل لبنان لاثارة القلاقل، وكان العملاء الفرنسيون يبشون روح الشقاق والنزاع بين سكان الجبل، لتتيح لهم فرصة ارسال حملة عسكرية بحجة حماية المسيحيين^{٩٩}.

كذلك رأى البريطانيون ان مصلحة حكومتهم تعتمد على مساعدة الدروز وتقويتهم بعد ان فشلوا في كسب الموارد لصالحهم^{١٠٠}. فضلاً عن ان بعض التحريضات والاثارات قام بها البريطانيون والموظفين العثمانيين من اجل اثاره القلاقل والاضطرابات لكي تثبت للحكومات الاوروبية ان الحكم المباشر هو الحكم المناسب لهذه المنطقة المقلقة لراحة السلطات العثمانية والمسؤولة عن توتر علاقاتها من وقت لآخر مع الحكومات الاوروبية^{١٠١}.

كل هذه العوامل التي اثارت النعرات الطائفية ساعدت في حدوث اشتباكات بين الدروز والموارنة في نيسان عام ١٨٦٠ بسبب شجار بين اثنين من الاطفال من ماروني ودرزي في بلدة بيت مري، ولكن اصحاب الشأن من اهالي البلاد من الفتنة^{١٠٢} لكن الاشتباكات تجددت في ايار من العام نفسه اذ قام فريق من مسيحي منطقة المتن بالهجوم على قرية صليما وقرنابل وبتخنية المختلطة السكان وطردوا سكانها الدروز، فقام الدروز بالهجوم على قرية بين مري واضرموا النار فيها وقتلوا عدة قرى مسيحية اخرى، واشترك الجنود الاتراك في السلب والنهب والاعتداء على المسيحيين، وفي منطقة الحدث وبعدها احرقوا دور الشهابيين وقتل الامير الشهابي الثالث، واضطر فريقاً من المسيحيين الى مغادرة قراهم التي نشبت فيها النيران^{١٠٣}.

97 احمد طربين، المصدر السابق، ص ٩٢.

98 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ١٠٥.

99 لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو.

ص ١٦٢؛ احمد طربين، المصدر السابق، ص ١٢٠-١٢٣.

100 فؤاد شاهين، المصدر السابق، ص ٧٣.

101 جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ١١٤.

102 زاهية قدوة، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

103 عيد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٤١٣-٤٣٢.

قادت الحرب الاهلية الى التخريب والتدمير على نطاق واسع، وانتشرت
العداوة من لبنان الى دمشق واصبحت هناك فتنة طائفية دموية، وجاءت من حوران
جنت مرزية قوية لشدة ازور دروز الجبل، وتخرج موقف الموارنة حتى اصبحت
العداوة في نظر القناصل مذابح للمسيحيين وعرفت بمذابح الستين^{١٠٤}. حدث والي
سيدا خورشيد باشا الطرفين على وقف القتال ونجح في التوصل الى صلح بين
الطرفين في السادس من تموز عام ١٨٦٠م، اتفق فيه الجانبان على نسيان الماضي
وعدم المطالبة بتعويض^{١٠٥}.

وصلت انباء حوادث لبنان الى اوروبا ووجدت صدى في اوساط الرأي العام،
فصلت الحكومة الفرنسية مع الدول بشأن التدخل في لبنان، اذ ارسل وزير الخارجية
توفنيل (Thouvenel) في السادس من تموز من العام نفسه، تعليمات بهذا
النوع الى سفراء دولته في لندن وفيينا وبطرسبرغ وبرلين ليعرضوا على تلك الدول
ان الحكومة الفرنسية بارسال لجنة الى لبنان، وتكون غايتها البحث في اسباب
القتال وبيان درجة مسؤولية كل فريق، والتعويض عما جرى، جرى وايجاد نظام
للمحلول دون تكرار الحوادث الدامية^{١٠٦}.

ارسل توفنيل الى سفيره في الاستانة دولاڤاليت (do lavilet) يدعو للاتصال
بالرعية العثمانية للمفاوضة مع الباب العالي ويؤكد اعتماد فرنسا عليها في اعادة
النظام والنظام للجيل، وعلى اثر تلك المفاوضات ارسل السلطان العثماني عبد المجيد
البرون الثالث (Napoleon III) رسالة في السادس عشر من العام نفسه اكد له
ان عزمه على اجراء العدل^{١٠٧}. وبالفعل ارسل السلطان العثماني وزير خارجيته فؤاد
المرعشي صلاحيات واسعة، وفي السابع عشر من تموز من العام نفسه، وصل الى

١٠٤-١٠٥: المصدر السابق، ص ٨٦-٨٨.

١٠٦: سليمان الصليبي المصدر السابق، ص ١٤٢.

١٠٧: يوسف السودا، المصدر السابق، ص ٢٤٩.

ليون الثالث (١٨٠٨-١٨٧٣) ولد في باريس وهو ابن لويس بوناپرت ملك هولندا، حاول
السيادة على العرش في عام ١٨٣٦م وعام ١٨٤٠م الا انه فشل والقي القبض عليه، وفر بعدها
الى لندن. وعندما نشبت الثورة في فرنسا عام ١٨٤٨م، رأى نابليون فيها فرصة جديدة لتحقيق
مهمته فانتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية في العالم نفسه، لم يستطع نابليون ان يكون مطلق
السلطة عام ١٨٥١م بانقلاب ومدد رئاسته الى ١٠ سنوات واصبح حاكماً مطلقاً، في عهده شهدت
اقتصاداً سريع نتيجة للثورة الصناعية وتبنى نابليون هذا التطور، في عهده لعبت فرنسا
دوراً مهماً في حرب القرم وتوحيد ايطاليا.

The Mc Graw-Hill, op.cit., Vol8, p.67-69.

١٠٨: فريد الخازن، المصدر السابق، مج ٢، ١٩١١، ص ١٦٨؛ يوسف السودا المصدر
السابق، ص ٢٥٠.

بيروت ونجح في معالجة الامور ببراعة وحزم، فبطش بالمسؤولين عن الاحداث واعدم البعض وسجن البعض الاخر حتى استطاع ان يعيد الامن والاستقرار الى البلاد^{١٠٩}.

عزم نابليون الثالث على التدخل العسكري المباشر في جبل لبنان، واخبر وزير خارجيته توفنيل سفير بريطانيا في باريس كولي (Cowley) على قرار الامبراطور واضطرت الحكومة البريطانية ان توافق على مبدأ التدخل المسلح شريطة ان يكون صفة ولية لا فرنسية ووفقاً لشروط يتفق عليها^{١١٠}.

وفي الثالث من اب عام ١٨٦٠ عقد مؤتمر في باريس اثر دعوة الحكومة الفرنسية واجتمع ممثلوا لدول الخمسة والدولة العثمانية^{١١١} ووضع المجتمع بروتوكولا حدد بموجبه صيغة الحملة وشروطها، واهم ما جاء فيها ان ترسل فرنسا نصف الحملة العسكرية المتفق عليها، وعقب وصول القوات الفرنسية الى بلاد الشام يتفق قائدها مع فؤاد باشا على اسلوب التحرك والعمل^{١١٢}. وامر الامبراطور نابليون الثالث بحشد ستة الاف جندي في معسكر شالون (في فرنسا) والقي خطاباً على الجبهة في السابع من اب لخص فيه مهمة الحملة و اشار قائد الحملة دي بوفور (Beaufart De) بوضوح الى ان الحملة لا تسعى فقط الى تلك الحروب الصليبية كذلك الى تحقيق الاهداف التي فشل في الوصول اليها نابليون بونابرت^{١١٣} ووصف الحملة الفرنسية الى بيروت في السادس عشر من اب عام ١٨٦٠^{١١٤}.

بدأ قائد الحملة الفرنسية دي فوفور اتصالاته مع فؤاد باشا، وبدأت الصلوات بينهما لان فؤاد باشا كان يعمل على ان يلتزم دي بوفور حدوده وان يقنعه بأنه لا يحضر على ارض فرنسية فاقترح عليه ان يتحرك في ديار الموارنة فقط وان يتحرك في

A. L. Tibauoi, op. cit., p.129.

110 احمد طربين، المصدر السابق، ص ١٣٧.

111 مثل فرنسا في المؤتمر: توفنيل، وعن بريطانيا كولي، وعن النمسا مترنيخ، وعن كيسيليف، وعن بروسيا الامير هنري دي روسي، وعن الدولة العثمانية احمد توفيق افندي احمد طربين، المصدر السابق، ص ١٣٩.

112 تم توقيع الاتفاقية في الخامس من ايلول عام ١٨٦٠م بعد ان حصل ممثلوا الدول على التوقيع من حكوماتهم، للمزيد حول بنود الاتفاق ينظر:

A. L. Tibauoi, op. cit., p.130.

113 خطاب الامبراطور نابليون الثالث الى جنود الحملة المرسلة الى بلاد الشام بتاريخ ١٨٦٠م، ينظر: عبد العزيز سليمان، المصدر السابق، ص ٤٦٢؛ فيليب وفريد الخرن

السابق، مج ٢، ص ٢٥١؛

Carbarvon, op. cit., p.121.

114 يوسف الصواد، المصدر السابق، ص ٢٥١.

باشا في ديار الدروز فرد دي بوفور على ذلك بان مهمة الحملة هي تأديب الدروز فقط، وأنه لابد من ملاحقة الدروز الا ان البريطانيون وقفوا الى جانب الدروز واخذوا يبررون الاعمال التي قاموا بها والقوا بالاثمة على الموارنة لان بريطانيا كانت تخشى من ان يوسع الفرنسيون دائرة نشاطهم في بلاد الشام^{١١٥}.

التقى فؤاد باشا بالجنرال دي بوفور في جب جنين في البقاع ودعاه الى تضيق فترة عملياته معترضاً على محاولة التغلغل داخل سوريا، بحجة انه يستحيل عليه تهدئة الاحول وتوطيد الامن في الوقت الذي يرتكب المسيحيون سلسلة من الجرائم والتعديلات على اعقاب الحملة الامر الذي يؤدي الى تجدد الاشتباكات الدموية وان البريطانيين لن يتطوا عن الدروز فتتوتر العلاقات بين الطرفين فاضطر دي بوفور ان يوقف عملياته يطلب منه فؤاد باشا الا يتعدى حدود اتفاقية الثالث من اب عام ١٨٦٠^{١١٦}.

ارسلت الدول الأوروبية فضلاً عن الحملة العسكرية لجنة دولية تمثل الدول الكبرى الأوروبية الخمسة^{١١٧}، برئاسة فؤاد باشا وزير الخارجية مندوباً عن السلطان الى بيروت وعقدت اللجنة اجتماعها الاول في الخامس من تشرين الاول عام ١٨٦٠، انصرت مهمتها كما حددها وزير الخارجية الفرنسية في التحقيق عن حوادث القتل والحيلولة دون تجدها وتقدير الخسائر وايجاد الوسائل للتحقيق وتعويض المتضررين واجراء تعديلات على نظام جبل لبنان^{١١٨}.

تشغلت اللجنة الدولية بوضع مشروع تنظيم جبل لبنان، ففرنسا كانت تسعى بحجة الى توحيد لبنان تحت حكم مسيحي كما كان عليه الامر ايام بشير الشهابي القوي، الا ان هذا المشروع رفضته كل من بريطانيا والدولة العثمانية^{١١٩}.

قترحت بريطانيا ان يقسم لبنان الى ثلاث قائمقاميات مارونية ودرزية وبيشكية، وفتت فرنسا ضد هذا المشروع وقامت بمساعي دبلوماسية حثيثة في القسمة له، وقترحت فرنسا مكانه مشروعاً اخر يعد لبنان مقاطعه تتمتع باستقلال في اختيارها حكام لبناني من الطائفة المارونية، وقررت الدول الخمسة الكبرى اتفاقية على هذا المشروع مقترحة فيه ان يكون الحكام عثماني مسلماً، وتقرر اخيراً في اقتراح غوتز (Glotez) سفير روسيا والذي يقضي بان يقوم في لبنان حكام مسيحيين^{١٢٠}.

١١٨-١١٧. المصدر السابق، ص ١١٨-١١٧.

١١٩. المصدر السابق، ص ١٤٧.

١٢٠. اللجنة عن فرنسا ببيكلار، وعن بريطانيا دفرين، وعن روسيا دي نوفيكوف، وعن المصطفى. وعن بروسيا دي ريفوس، ينظر: احمد طربين، المصدر السابق، ص ١٥٦.

١٤٦. المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٤٧. المصدر السابق، ص ٩٩ وما بعدها.

توصلت اللجنة الدولية بعد ان عقدت ٢٩ جلسة في بيروت والاستانة الى اقرار نظام للبنان، تم التوقيع عليه في التاسع من حزيران عام ١٨٦١م في الاستانة الذي عرف بـ"النظام الاساسي" وبموجبه اصبح جبل لبنان سنجقا (متصرفية) عثمانيا له استقلاله الداخلي، على ان تضمن كيانه الدول الستة الموقعة على النظام، وعملاً باقتراح الحكومة الفرنسية تم تعيين داود باشا في ١٢ حزيران ١٨٦١م اول متصرف لمدة ثلاث سنوات^{١٢١}، وفي ايلول عام ١٨٦٤م اعيد النظر في النظام الاساسي وادخلت عليه تعديلات جديدة وبموجبه مددت ولاية المتصرف الى خمسة سنوات بدلاً من ثلاث سنوات^{١٢٢}.

وهكذا حققت فرنسا انتصاراً لا يتسهان به حيث نجحت في ايجاد سلطة مسيحية واحدة في الجبل مستقلة عن والي صيدا او والي دمشق ومرتبطة مباشرة بالاستانة فضلاً عن الضمانات الدولية. واعتز الموارد في لبنان بعلاقتهم بفرنسا ولم يحاولوا اخفائها ولقبوها بـ"الام الحنون"^{١٢٣}.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة الى جملة من النتائج لعل من ابرزها:

١. ان مرحلة الدراسة الممتدة (١٨٤١-١٨٦٠)، تعد مرحلة متميزة في تاريخ لبنان، هي من اخطر المراحل بسبب اقرارها علناً للمبادئ والتقسيمات الطائفية، والتي تطورت الى الحروب الاهلية الثلاث التي شهدتها البلاد ابان تلك المرحلة.
٢. كشفت الدراسة الاساليب المتعددة التي سلكت السياسة الفرنسية بحجة الدفاع عن مصالح وحماية الاقليات المسيحية في لبنان، وكانت تهدف من وراء ذلك التغلغل في لبنان وتحطيم الوحدة الوطنية بين ابناءه.
٣. تبين من خلال الدراسة ان فرنسا قد استغلت مكونات الشعب اللبناني المختلفة فتدخلت في تشجيع فئة على اخرى من اجل خلق التجزئة وتكريس السياسة الطائفية في البلاد.
٤. افصححت هذه الدراسة عن الوسائل السياسية والاقتصادية والمالية التي جربتها كل الدول الاوروبية في مرحلة الحروب الاهلية، بما يكفل لها بسط نفوذها في المنطقة.

121 جوناثان راندال، حرب الالف عام في لبنان، ترجمة: فندي الشعار، دار المروج، بيروت، ١٩٨٤، ص ٥٨.

H. Hourani, Syria and Lebanon, Apolitical Essay, Beirut, New Impression, 1968, p.15.

122 نادر العطار، سوريا في العصور الحديثة، مطبعة الانشاء، دمشق، ج ١، ص ٢٢٤؛ نقولاً أيضاً المتصرفية الجمهورية، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الخامسة، العدد ٥٢، شباط ١٩٨٣، ص ٣٨.

F. Harik, op. cit., p.276.

123 جوناثان راندال، المصدر السابق، ص ٦٢؛ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٥٧.